الدولة اليهودية والمشكلة اليهودية*
من مقال لأحاد هاعام(١)

سنة ١٨٩٧

يحدثنا التاريخ أنه في أيام هيرودس كانت فلسطين دولة يهودية لكن الثقافة القومية كانت موضع احتقار واضطهاد وقد بذل البيت الحاكم قصارى جهده لبذر الثقافة الرومانية في البلد وبعثروا موارد الأمة في بناء معابد الوثنية والمدرجات وما إلى ذلك. إن مثل هذه الدولة لن تحقق القدر الكافي من السلطة السياسية التي تؤهلها للاحترام بينما ستبتعد عن القوة الروحية الداخلية للعقيدة اليهودية، إن هذه الدولة المسخ ستتأرجح كالكرة بين جيرانها الأقوياء وستحافظ على وجودها فقط عن طريق التحايل الدبلوماسي وعن طريق التزلف للدول الكبرى، مثل هذا الموقف لن يمنحنا شعورا بالعزة القومية، والثقافة القومية التي من خلالها عثرنا على عظمتنا لن تجد أرضا خصبة في دولتنا ولن تكون المبدأ السائد في حياتنا. وسنكون عندئذ أكثر مما نحن عليه الآن أمة صغيرة وتافهة، أسرى للدول الكبرى. ترقب بعين الحسد القوات المسلحة لجيرانها الأقوياء، إن وجودنا في إطار هذا المفهوم كدولة ذات سيادة لن يضيف فصلا من العزة لتاريخنا القومي.

---

* **المصدر:** "ملف وثائق فلسطين: مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية، الجزء الأول من عام ٦٣٧ إلى عام ١٩٤٩" (القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٦٩)، ص ١١٥ – ١١٦.

(١) أحاد هاعام Ahad Ha-Am كلمة عبرية معناها "واحد من الشعب" واسمه الحقيقي آشر زفي جنسبرج Asher Zvi Ginsberg وكان يوقع على مقالاته باسم آحادهاعام. ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٩٢٧ وقد ولد في أوكرانيا من أسرة ثرية ارستقراطية وتأثر بأعمال بيساريف ونشر مقالا بعنوان "ليس هذا هو الطريق" سنة ١٨٨٥ رداً على قرارات المؤتمر الصهيوني الأول، إذ كان يرى أن الطريق هو في إحياء الثقافة اليهودية كلن جماهير الحركة الصهيونية كانت تعارضه في هذا الرأي وفي رأيه القائل بأن استيطان فلسطين يأتي بأسلوب تدريجي وبحذر شديد. وبالرغم من ذلك فإن وايزمان كان يستشيره أثناء مفاوضاته مع الإنجليز تمهيداً لإصدار وعد بلفور واهم ما نشره مقال بعنوان "الدولة اليهودية والمشكلة اليهودية" سنة ١٨٩٧ قال فيه "لقد انقضت عدة أشهر منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني لكن أصداؤه لا زالت تتردد في الحياة اليومية وفي الصحافة. ومند أن عاد أعضاء الوفود وهم يبهرون أسماع الرأي العام بالمعجزات التي ستتم والشعب (اليهودي) متلهف إلى سماع هذا الآمال. ثم قال متنبئاً بما ستكون عليه هذه الدولة اليهودية في المستقبل: "إن التاريخ يحدثنا عن فلسطين أيام حكم هيرودس وأنها كانت دولة يهودية لكن ثقافتنا القومية كانت موضع احتقار. وقد بذل الحكام الرومان كل ما في وسعهم لاقتلاع هذه الثقافة .. وغرس الثقافة الرومانية مكانها. وهكذا ستكون هذه الدولة اليهودية الجديدة أنها ستنشر الموت وتجلب العار على شعبنا".

أفليس من الأفضل بشعب قديم كان يوما منارة للعالم أن يختفي من الوجود بدلا من أن ينتهي بالوصول إلى هدف كهذا؟ ويذكرني مستر ليلنبلوم بأن هناك دولا صغيرة اليوم مثل سويسرا تحميها دول أخرى من تدخل الغير في شئونها وأنها ليست مضطرة للتزلف لكن عقد المقارنة ما بين فلسطين والبلاد الصغيرة مثل سويسرا معناه تجاهل الوضع الجغرافي لفلسطين وتجاهل لأهميتها الدينية للعالم أجمع.

إن هاتين الحقيقتين ستجعل من المستحيل على جيرانها الأقوياء تركها وشأنها. وحتى بعد أن تقوم الدولة اليهودية فإنهم سيظلون يرمقونها بعيونهم وستحاول كل قوة أن تفرض نفوذها عليها وتوجه سياستها في اتجاه تحقيق مصلحتها هي بنفس الطريقة التي تحدث مع الدول الضعيفة مثل تركيا والتي للدول الأوروبية الكبرى مصالح فيها.

وخلاصة القول فإن جمعية محبي صهيون ليسوا بأقل من الصهيونيين رغبة في إقامة دولة يهودية ويؤمنون في إمكانية إقامة دولة يهودية في المستقبل. ولكن بينما تتطلع الصهيونية إلى الدولة اليهودية لتقديم العلاج للفقر وتهيئة السلام والسكينة والمجد القومي فإن "أحباء صهيون" يعرفون أن دولتنا لن تقدم لنا كل هذا ما لم يسد الخير العام ويفرض سلطانه فوق الأمم والدول. إنها تتطلع إلى دولة يهودية لتهيئة "ملجأ أمين" لليهودية ورابطة ثقافية لتعقد ما بين أمتنا. ولذلك تبدأ الصهيونية عملها بالدعاية السياسية. أما أحباء صهيون فتبدأ عملها بالثقافة القومية ذلك لأنه من خلال الثقافة القومية وحدها ومن أجلها تستطيع الدولة اليهودية أن تقوم بطريقة تتفق مع إرادة ومطالب الشعب اليهودي.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمؤسسة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من إدارة المؤسسة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي:
ipsbrt@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه الوثيقة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx